

أثر فتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي قدس سره على العشائر العراقية في مواجهة الاحتلال البريطاني

أ. م. د. سؤدد كاظم مهدي

الجامعة المستنصرية / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

s_ alubaidi @yahoo. Com

ملخص بحث

يتناول موضوع الدراسة بواكير العمل السياسي للعشائر العراقية في مواجهة الغزاة في اول معركة يخوضها العراقيون ضد الاحتلال البريطاني بدءاً من معركة الشعبية عام ١٩١٥ الى فتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي "قدس سره"، عندما دافع العراقيون بفئاتهم الاجتماعية المختلفة عن تربة العراق. وقدموا صورة من صور التلاحم العشائري-القومي-الديني لمواجهة الاخطار الخارجية. عندما عمل علماء الدين على تاسيس نمط جديد من العمل السياسي العقائدي الحركي والعمل الاسلامي الجهادي وكانت مدينة كربلاء وبمشاركة المرجعية وعلى راسها المرجع الديني الاعلى محمد تقي الشيرازي "قدس الله سره" تبنيها لها مباشرة دوراً في ظهور الحركة الوطنية في العراق في عشرينيات القرن العشرين ومرحلة ما قبل تاسيس الدولة العراقية الحديثة. عندما لم يحدد البريطانيون طبيعة وشكل تلك الدولة في تلك المرحلة المعقدة من التسويات بين الدول الكبرى المنتصرة بعد الحرب العالمية الاولى وكان من نتائجها ظهور الدول القومية على الساحة الدولية وفي المنطقة العربية بعد ان كانت ولايات تابعة للدولة العثمانية.

كان الغزو البريطاني للبصرة في تشرين الثاني ١٩١٤ الشرارة الاولى التي عمقت بوادر الوعي الوطني (البدايي) للعشائر على المستوى الوطني عندما انخرطت العشائر لأول مرة في تاريخها في النضال المسلح لمواجهة الاحتلال وسجلت صورة للاواصر الوطنية المختلفة بين جماهير البلاد على المستويين الوطني والقومي بدا العمل الاسلامي في الساحة العراقية ممثلة في فتوى الجهاد كحالة دفاع عن الخلافة الاسلامية ضد عدوان خارجي تمثل في الغزو البريطاني على اساس انها ممثلة للاسلام في تلك المرحلة، ولذلك لا يمكن اعتبار العمل الاسلامي الجهادي جزءا من الحركات الاسلامية ضمن التشكيلات الحزبية او جزء من العمل السياسي الاسلامي الهادف الى تاسيس دولة اسلامية.

The effect of the fatwa of Sheikh Muhammad Taqi Al-Shirazi /Quds/ on the Iraqi tribes in the face of the British occupation

a. M. Dr.. Suadd Kadhem Mahdi

Al-Mustansiriya Center for Arab and International Studies

Mustansiriya University

Research summary

The subject of the study deals with the beginnings of the political action of the Iraqi clans in the face of the invaders in the first battle that the Iraqis fought against the British occupation, starting from the Battle of Shuaiba in 1915 to the fatwa of Sheikh Muhammad Taqi Al-Shirazi /Quds/, when the Iraqis, with their different social groups, defended the soil of Iraq. They presented a picture of cohesion Tribal-national-religious to face external dangers. When religious scholars worked to establish a new pattern of political, ideological, movement and Islamic jihad work, and the city of Karbala, with the participation of the Marja'iyah, headed by the supreme religious authority, Muhammad Taqi Al-Shirazi, /may God sanctify his secret/—it directly played a role in the emergence of the national movement in Iraq in the twenties of the twentieth century and at some point Before the establishment of the modern Iraqi state. When the British did not determine the nature and form of that state in that complex stage of the settlements between the major victorious states after the First World War, and one of its results was the emergence of nation states on the international scene and in the Arab region after they were states belonging to the Ottoman Empire.

المقدمة

يتناول موضوع الدراسة بواكير العمل السياسي للعشائر العراقية في مواجهة الغزاة في معارك خاضها العراقيون ضد الاحتلال البريطاني بدءاً من معركة الشعبية عام ١٩١٥ وصولاً الى ثورة العشرين في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ واثر فتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي / قدس / في تلك المرحلة التاريخية والاعداد لها، عندما دافع العراقيون بفئاتهم الاجتماعية المختلفة عن تربة العراق. وقدموا صورة من صور التلاحم العشائري - القومي - الديني لمواجهة الاخطار الخارجية. وعمل علماء الدين على تاسيس نمط جديد من العمل السياسي العقائدي-الحركي والعمل الاسلامي الجهادي وكانت مدينة كربلاء وبمشاركة المرجعية وعلى راسها المرجع الديني الاعلى محمد تقي الشيرازي / قدس الله سره /، دوراً في ظهور الحركة الوطنية في العراق في مرحلة ما قبل تاسيس الدولة العراقية الحديثة وعشرينيات القرن العشرين. عندما لم يحدد البريطانيون طبيعة وشكل تلك الدولة في تلك المرحلة المعقدة من التسويات بين الدول الكبرى المنتصرة بعد الحرب العالمية الاولى وكان من نتائجها ظهور الدول القومية على الساحة الدولية وفي المنطقة العربية بعد ان كانت ولايات تابعة للدولة العثمانية.

كان الغزو البريطاني للبصرة في تشرين الثاني ١٩١٤ الشرارة الاولى التي عمقت بوادر الوعي الوطني (البدائي) للعشائر على المستوى الوطني، عندما انخرطت العشائر لأول مرة في تاريخها في النضال المسلح لمواجهة الاحتلال وسجلت صورة للاواصر الوطنية المختلفة بين جماهير البلاد على المستويين الوطني والقومي. حيث تحولت العشائر بعد سلسلة الانفجارات العشائرية ضد الحكومة المركزية العثمانية

في ثورتها من الطابع المحلي الى طابع أكثر شمولية وهو شكل التحالفات العشائرية وىوادر التنسيق مع بعض قادة الكتل السياسية لتحقيق اهدافها المرجوة وهي استقلالية العشائر وعدم دفع الضرائب وابقاف التجنيد الالزامي.

أولاً: بعض الملامح الاجتماعية للعشائر العراقية

تشكل العشيرة تلك المؤسسة ذات العلاقة التقاربية بوجودها ووظيفتها، احدى اهم ركائز المجتمع في العراق قديما وحديثا، على الرغم من مرور التشكيلات الاحداث والاشمل عليها. وبرزها المفهوم الاسلامي للامة والقومي للدولة فيما بعد^(١). اذ لم يتجاوز الاسلام بخطابه منذ بواكير الدعوة الاسلامية القبيلة كاطار حيوي في عملية الكسب للاسلام، وهو ما ترشد اليه الاية القرانية الكريمة التي وجهت الى النبي صلى الله عليه واله وسلم الى ذلك بقوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢).

تمثل نسبة العشائر هي الغالبة في المجتمع العراقي، وهو ماتشير اليه الاحصاءات السكانية عن تركيب البنية الاجتماعية للفترة المحددة ما بين (١٨٦٧-١٩٠٥) فيما يتعلق بمادة الموضوع في الجدول الاتي:

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر . ياسين سعد محمد البكري، القبيلة في العراق، ديناميتها ودورها السياسي (مقدمة لمشروع دراسة القبيلة في العراق) مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٦٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ايار ٢٠٠٩، ص ص ٨٦-١٠٠.

(٢) القرآن الكريم، سورة الشعراء، الاية ٢١٤.

جدول رقم (١)

المجموع	النسبة المئوية	الحضر	النسبة المئوية	سكان الريف	النسبة المئوية	البدو	السنة
١٢٨٠	٢٤	٣١٠	٤١	٢٥٠	٣٥	٤٥٠	١٨٦٧
١٨٢٦	٢٥	٤٣٠	٥٠	٩٦٣	٢٥	٤٣٣	١٨٩٠
٢٢٥٠	٢٤	٥٣٣	٥٩	١٣٢٤	١٧	٣٩٣	١٩٠٥

(٣) نقلا عن. وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والاجتماعية والاقتصادية لثورة العشرين، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٢٣

تبين النسب المئوية للفئات الاجتماعية المذكورة في اعلاه زيادة نسب سكان الريف على البدو وبالتالي على سكان الحضر، بفعل جملة عوامل اقتصادية أدت الى حدوث تحولات عميقة في المجتمع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر^(١). كما تعكس ذلك الخط العام للنشاط الاقتصادي لتلك المرحلة الذي اعتمد على الزراعة والرعي عموماً^(٢).

وبقدر تعلق الامر بطبيعة احداث موضوع الدراسة في المناطق الوسطى والجنوبية من البلاد، فقد سكن تلك المناطق العشائر المستوطنة وشبه الرحالة الذين يمثلون أكثر من نصف السكان عام ١٩٠٥^(٣)، ويعتبرون انفسهم محاربين بالاضافة الى كونهم مزارعين، فقد ظلت تلك العشائر تلاحقها احتمالات الحرب مع عشائر مجاورة أو مع السلطات العثمانية، على الرغم من استيطانها في مناطق معينة، وبرزت تلك العشائر قبائل المتفك، والزبيد، وبني حسن، والفتلة، والخزاعل، والاقرع

(١) نقلا عن: وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والاجتماعية والاقتصادية لثورة العشرين، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٢٣.

(٢) ستيفن همسلي لونكر، تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، ١٩٧٠، ص ٩٠.

(٣) حمود الساعدي، دراسات عن عشائر العراق، النجف الاشرف، ١٩٧٤، ص ٩٢.

وعفيج^(١).

ان المتمعن لخارطة العراق العشائرية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين سيلاحظ وجود العديد من الاتحادات القبلية القوية وعدد من العشائر التي تخضع لسيطرتها الفعلية في جنوب ووسط البلاد التي لعبت دورا مهما في احداث هذه المرحلة^(٢).

كانت غالبية العشائر في وسط وجنوب العراق تنتمي الى المذهب الشيعي وتدين بالولاء العقائدي الى مرجعيته الدينية التي ترجع الى الاف السنين في العراق يرجع المواليين للمذهب الشيعي الى المراجع الكبار أو مراجع التقليد لمعرفة الأحكام الفقهية، الذين قد يمتد نفوذهم إلى التدخل في مسائل سياسية واجتماعية كما حدث ذلك في تاريخ المرجعية الشيعية^(٣). كما اضاف تاثير الاماكن المقدسة والقرب الجغرافي حلقة اقوى في الامتداد والتواصل العشائري مع المرجعيات الدينية في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة، فكلما كانت هذه الاماكن قريبة جغرافيا كلما كان النفوذ الشيعي اقوى وسلطة الحكومة اضعف^(٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٢) حميد حمد السعدون، امانة المتفك واثرها في تاريخ العراق والمنطقة الاقليمية ١٥٤٦-١٩١٨، عمان، ١٩٩٩، ص ٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ص ٨٥-٨٧؛ فيصل محمد الرحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨-١٩١٤، موصل، ١٩٧٥، ص ص ٨٥-٨٧.

ثانياً: السياسة العثمانية تجاه العشائر العراقية قبل العام ١٩١٤.

كانت السياسة العثمانية تجاه العشائر منذ اسقاطهم للمماليك في العراق عام ١٨٣١ وحتى اندحارهم على يد البريطانيين، هي سياسة تدمير العشائر كنظام اجتماعي^(١)، طالما كانت تمثل عقبة رئيسية امام امتداد السلطة المركزية العثمانية وامام دفع الضرائب كمورد ثابت للخرينة^(٢) وقد تمثل الرد العثماني تجاه تلك التحديات بطريقة مختلفة فنادرا لم يلجأ الولاة العثمانيون في بغداد^(٣) بحملات عسكرية ضد العشائر بعناوين مختلفة، لا سيما تجاه القبائل القوية، باعتبارها افضل الوسائل لترسيخ النظام والقانون. وهو ما حصل مثلاً عند اعتقال شيوخ قبيلة الخزاعل الكبار ونفيهم عام ١٨٦٧^(٤).

كما لجأ العثمانيون الى تحريض القبائل ضد بعضها، اما عن طريق مصادرة الارض من قبيلة ما أو اعطائها الى اخرى هذا فضلاً عن اثاره الصراعات داخل العشيرة الواحدة، عن طريق ابدال الشيخ المعترف به باخر، اما من العائلة نفسها او من عائلة اخرى. أو خلق هوه بين الشيخ وعشيرته عندما جرى تعيين بعض الشيوخ كحكام رسميين على عشائرهم، بقصد تحويل الشيخ من زعيم عشيرة الى جابي ضرائب وممثل للحكومة^(٥).

(١) المصدر نفسه، ص ٨٥-٨٧.

(٢) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٣) اداموف، ثورة العشرين التحررية، بغداد، ١٩٨٣. ص ٩٦.

(٤) محمد جبار، تأثير التحولات الاقتصادية في نمو المجتمع العراقي الحديث، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد ٢١، السنة الثامنة، ٢٠٠٩، ص ٨٨.

(٥) سيار الجميل، زعماء وافندية وبشوات العثمانيون، عمان، ص ١٠٨.

كان الفشل هو النتيجة الطبيعية للسلسلة العثمانية القصيرة الضعيفة الافق وعلى مدى عقود طويلة من القرن التاسع عشر، فقد حول العراق وفق هذه السياسة الى ميدان للصراع الدائم ما بين العشائر المتنافسة حول الارض والماء، وبين العشائر والحكومة، مما الحق بالبلاد ضررا بالغا، طالما ان الحكومة لم تقدم اية مبادرة لتلبية حاجات العشائر الاقتصادية والادارية ك معالجة جذرية للنظام العشائري وتصفية هيكله الداخلية.

فقد كان الاهمال الحكومي للمناطق الزراعية السمة الاساسية لتلك المرحلة، على الرغم من احتلال الزراعة الصدارة بين القطاعات الاقتصادية، فقد كان نظام الري الذي تعتمد عليه المناطق العشائرية يعاني تدهورا واضحا، اذ لم تجري باستثناء سدة الهندية^(١)، اية محاولة جادة لايقاف التدهور في نظام دقيق من الري الدائم، وهو ما أدى الى حدوث فيضانات في نهري دجلة والفرات في الاعوام التالية: ١٨٩٦، ١٨٩٥، ١٨٩٢، ١٨٣١، واهلك الاخير أكثر من مليوني نخلة^(٢).

وما زاد الوضع تعقيدا انه في العام ١٨٩٩-١٩٠٠ كانت مساحة الاراضي التي تستغل سنويا في المناطق المختلفة تتراوح ما بين ٢-٧٪ من مجموع الاراضي الزراعية، اما معدل الانتاج الزراعي فكان لايتجاوز للهكتار الواحد من الارض (٨) تستينترات، أي ما يعادل (٨٠٠) كغم^(٣). ومع ان الولاة العثمانيون لم يقدموا شي ملموس لصالح العشائر لكنها كانت دائما تلجأ اليهم للحصول على الايرادات. اذ كان مجموع الايرادات المحصلة فعلا في ولاية بغداد في المدة ١٤ اذار

(١) غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨-١٩٢١، دار اللام، لندن، ١٩٩٠، ص ٩.

(٢) حنا بطاطو، الطبقات الاجتماعية في العراق، الجزء الاول، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٠٥.

(٣) اداموف، المصدر السابق، ص ٩٦.

١٩١١ - ١٣ اذار ١٩١٢ يبلغ مجموعه الكلي حوالي (٢٧٠) ألف ليرة تركية لتغطية مصاريف كلية، بما فيها النفقات العسكرية^(١).

ان فشل النظام العثماني وعلى مدى قرون عديدة في فهم حاجات العشائر الاقتصادية والاجتماعية قد صحبه تصميم جديد من قبل العثمانيون على فرض سلطتهم وهذا ما وسع الشقة بين الادارة والعشائر. فكانت العشائر في الفترة من ١٩٠٨ - ١٩١٤ في حالة هيجان. وكان ابرزها عشائر بني لام والبو محمد في العمارة، وعشائر المتفك في البصرة، والحميدات والفتلة في الشامية^(٢).

ثالثا: موقف العشائر من الاحتلال البريطاني لولاية البصرة ١٩١٤-١٩١٥.

(١) دور العشائر في الاستراتيجية البريطانية عام ١٩١٤.

كان عنصر العشائر عاملا رئيسيا في استراتيجية الحرب بالنسبة للبريطانيين المسؤولين عن الحملة البريطانية على البصرة الذين حملوا انطباعا يرون فيه ما ان تعلن الحرب حتى يقدموا مساعدتهم للعشائر أو على الاقل يقفوا على الحياد ومن جملة اسباب هذا التوقع هو الموقف المشجع لشيخ الكويت والمحمرة الذين يتمتعان بنفوذ واسع في المنطقة وما جرى فعلا قبل الحرب من وقوع عدة اتصالات مع البريطانيين من قبل شيوخ العشائر في دجلة يناشدونهم المساعدة ضد السلطات التركية، بسبب الصراع المستمر بين معظم العشائر في جنوب العراق بين السلطات العثمانية^(٣).

(١) وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦٨.

(٣) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد ١٩٧٩، ص ١١٧.

بيد انه لم تمض سوى عدة شهور حتى ادركت القيادة البريطانية انه من غير المتوقع الحصول على مساعدة كبيرة من العشائر العربية وانه مامن شىء يؤدي الى تقدم ناجح نحو بغداد سوى ارسال قوات بريطانية اضافية. وفي اثناء التقدم البريطاني من البصرة الى القرنة ظلت العشائر المجاورة لهما محايدة. اعلن شيوخ القرنة البارزون ولاءهم للحكام الجدد حال احتلال القرنة ولكن سرعان ما اضحى موقف العشائر معاديا وما فاجى القيادة البريطانية ان عشائر المحمرة والحويزة انقلبت ضد البريطانيين وحليفهم الشيخ خزعل^(١).

موقف السلطة العثمانية من العشائر في بداية الحرب العالمية الاولى

لم يدرك العثمانيون حتى اندلاع الحرب العالمية الاولى وتقدم البريطانيون تجاه البصرة في ١٩١٤، انهم قد أساءوا التقدير بشأن العشائر ودورها على الساحة السياسية والعسكرية، فبعد عقود عديدة من التدمير العمدي للمؤسسات العشائرية، اتجهت الحكومة العثمانية الى العشائر طلبا للعون ضد الجيش البريطاني المحتل. وحاول الموظفون العثمانيون بعد تغيير مفاجى في الموقف ان يكسبوا ثقة العشائر العربية التي كانت مفقودة بأساليب مختلفة كان منها.

١. منح الاوسمة والاموال لبعض الشيوخ المتنفذين مثل فالح وعبد الكريم ولدا صيهود المنشد، وزبون الفيصل من قبائل بني لام والشيخ غضبان الخلف من عشيرة ال عيسى.

٢. العفو عن شيوخ لهم مشاكل مع السلطات أو اتيح لهم اجراء تسوية يسيرة لديونهم أملا بالظفر بولائهم. فمثلا افرج عن بعض شيوخ عشيرة الفتلة

(١) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد ١٩٧٩، ص ١١٧.

المسجونين وسمح لكل من الشيخ خيون العبيد من عشيرة العبودة والشيخ فاضل الخفاجي بالعودة الى ديارهم.

٣. تقديم المال للشيخ عن كل مجند يتم تجهيزه^(١).

رابعا: موقف العشائر من اعلان الجهاد على القوات البريطانية

كان العامل الرئيسي الذي أثر على علائق العشائر مع السلطة العثمانية ثم على العلاقات مع البريطانيين بعد ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ هو اعلان الجهاد، عندما شرع البريطانيون في غزو العراق واحتلال البصرة في تشرين الثاني ١٩١٤، التي على اثرها أطلقت السلطات العثمانية حملة دينية لكسب تاييد العلماء كافة للقضية العثمانية عندما صورت الحرب للعلماء بوصفها حربا اسلامية ضد الكفار وطلب منهم اصدار فتوى للجهاد ضد الغزاة^(٢). وقد اعلن الجهاد السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ عبد الكريم الجزائري، والسيد عبد الرزاق الحلو، والشيخ جواد صاحب الجواهرى وغيرهم، كما تبعهم شيخ الشريعة الاصفهاني في اعلان الجهاد^(٣).

كانت العشائر رافضة للاستجابة لدعوة الجهاد بسبب الكره التي كانت تضمه تجاه الاترك الا ان الحبوبي الذي كان العنصر الاكثر نشاطا في حركة الجهاد ذهب الى الفرات الاوسط وشرع في اقناع زعماء العشائر. يؤثر الدين فضلا عن مصالح العشيرة الاخرى على مجريات اتخاذ القرار، اذ كانت غالبية العشائر في جنوب العراق تنتمي الى المذهب الشيعي. ان تاثير الاماكن المقدسة يعكس القرب الجغرافي، فكلما

(١) شكري محمود نديم، حرب العراق - الحرب العالمية الاولى، بغداد، ١٩٧٢، ص ٣١.

(٢) غسان العطيه، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٣) حسن الاسدي، ثورة النجف على الانكليز، النجف ١٩٧٩، ص ٤٣.

كانت هذه الاماكن قريبة جغرافيا كلما كان النفوذ الشيعي اقوى وسلطة الحكومة اضعف^(١).

خامسا : دور العشائر في معركة الشعبية عام ١٩١٥

تقع الشعبية على بعد (٩) أميال من الجنوب الشرقي للبحيرة، وكان العثمانيون قد عزموا على مهاجمة البصرة من هذه الجبهة، فحشدوا جيشا كبيرا مؤلفا من قوات نظامية يبلغ عددها (٦) الاف جندي، ومن المجاهدين معظمهم من العشائر قدر عددهم حسب المصادر العثمانية ب(٢٠) ألف واخرون ب(٥٠) ألف^(٢).

وصل سليمان العسكري بك القائد العثماني الى المنطقة في ٩ اذار ١٩١٥ وكان لايزال يشكو من المرض وينقل على نقالة صحية. وقد وضع خطته على ان تتولى القوات النظامية الهجوم من القلب، ويتولى المجاهدون الهجوم من الجناحين الايسر والايمن. وفي صباح يوم ١٢ نيسان ١٩١٥ بدأ الهجوم العثماني على الموقع الانكليزي، وقد أبدى الجنود العثمانيون والعشائر في القتال نادرة، وكان الشيخ عجمي السعدون شيخ عشائر شيخ عشائر المنتفك من اعظم المقاتلين اثرا في تلك المعركة، استمرت المعركة يومين ١٢-١٤ نيسان دون ان تبدو اية بادرة للغلبة من احد الفريقين على الاخر. وفي ١٥ نيسان وصل الى الشعبية الجنرال مليس، الذي تولى قيادة القوات الانكليزية، الذي اصدر امرا بالهجوم على القوات العثمانية. ونشب عن ذلك قتال ضاري بالسلاح الابيض، على الرغم من الهنود المسلمين

(١) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٢) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦، ص ٢٥٦؛ غسان العطية، المصدر السابق، ص ٢٥١.

الذين كانوا يقاتلون في صفوف القوات الانكليزية لم يطيعوا امر قائدهم بالهجوم، لان دعوة الجهاد كانت قد أثرت فيهم بحيث جعلتهم يعتقدون ان ارض العراق مقدسة لايجوز تدينسها بالهجوم. كانت اولى بوادر الهزيمة قد ظهرت في صفوف العشائر، ثم تلاهم الجنود النظاميون اذ هم اخذوا ينسحبون بلا نظام نحو ادغال البرجسية. كان السيد محسن الحكيم قد حضر معركة الشعبية لانه كان امين سر السيد محمد سعيد الحبوبي^(١).

سادسا: نتائج معركة الشعبية

كانت خسائر الانكليز في معركة الشعبية التي دامت ثلاثة ايام زهاء (١٢٠٠) بين قتيل وجريح، أما خسائر الاتراك فكانت ضعف ذلك العدد، وتقدر خسائر المجاهدين (٣)الاف. وكان عدد الاسرى الذين وقعوا في ابدي الانكليز اكثر من (٧٠٠)مئة اسير^(٢). حاول المؤرخون والنقاد العسكريين دراسة العوامل التي ادت الى هزيمة الاتراك في الشعبية والعشائر واهمها مايلي:

١. ان القائد التركي سليمان عسكري بك ظل تحت المعالجة الطبية ببغداد زهاء شهرين، وقد ارسلت القيادة التركية العليا قائدا اخر ليحل محله غير انه رفض ذلك واصر على قيادة المعركة بنفسه بالرغم من مرضه. ثم ذهب اخيرا الى الشعبية وهو محمول على تقالة صحية كما رأينا. وكانت نتيجة هذا التاخير ان الانكليز زادوا من قوة تحصينهم لمواقعهم وامتدوها بالجنود والعدة والمؤن الكافية^(٣).

(١) د. شكري محمود نديم، المصدر السابق، ص ٣٣.

(٢) حسن الاسدي، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٣) د. شكري محمود نديم، العراق في عهد السيطرة العثمانية ١٩٠٨-١٩١٨، عمان، ٢٠٠٨،

٢. ان العشائر المشاركة في الجهاد بدأت تمل وتتذمر من طول الانتظار ثم اصبح رؤساء العشائر اخيرا يندرون القيادة بالانسحاب والعودة الى مواطنهم بدعوى ان العشب سوف ينفذ ويصعب عليهم بعدئذ اعاشة خيلهم ودوابهم.
٣. كانت القوات التركية تحارب باسلحة قديمة بالية. كما كانت مواد الاعاشة مفقودة وظل الجنود^(١) ايام بلياليها وهم يقاتلون دون ان يصل اليهم طعام أو ماء.
٤. كان جواسيس الانكليز منتشرين بين صفوف المجاهدين. وكان بعضهم يتنكر بزى رجال العشائر بينما الاخر بزى رجال الدين^(٢). كانت القوة العشائرية صغيرة وكان مفهومها محدودا في الاستراتيجية الحربية مع دولة عظمى، وكان اسلوبها يعتمد على شق غزوة مفاجئة وتنهب ما تستطيعه وتختفي سراعا في الصحراء^(٣).

(١) د. عبدالستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١-١٩٤١، بغداد، ٢٠١٠، ص ٢٣.

(٢) شكري محمود نديم، حرب العراق، ص ٢٥.

(٣) المصدر نفسه.

اثر الشيخ محمد تقي الشيرازي على العشائر ١٩١٨-١٩٢٠.

* اخذت مدينة كربلاء بعد قدوم المرجع الديني محمد تقي الشيرازي من سامراء واستقراره في مدينة كربلاء تأخذ نشاطاً سياسياً - اسلامياً معادياً للاحتلال البريطاني وكان ابرز مظاهر ذلك النشاط هو التنسيق المتبادل في العمل بين علماء كربلاء وشيوخ العشائر وزعماء الحركة الوطنية في بغداد من اجل الاعداد والعمل لتشكيل تنظيم سري، الذي تحدد في صيغة برنامج جمعية اسلامية سرية اعلن عنها في اوائل تشرين الثاني ١٩١٨، بأسم /الجمعية الاسلامية / من اجل العمل ضد البريطانيين كما حدد ذلك هدف تأسيس الجمعية^(١). وتهيئة الاجواء المناسبة للإعداد الثوري.

* وقد تولى المرجع الديني محمد تقي الشيرازي الاشراف على الجمعية وتوجيهها في حين تولى ابنه الشيخ محمد رضا رئاسة الجمعية، وانضم اليها شخصيات دينية واجتماعية التي تالفت منها الجمعية وهم السيد حسين القزويني، والسيد عبد الوهاب الوهاب، ومحمد علي ابو الحب، والسيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، والشيخ محمد حسن ابو المحاسن، وعبد الكريم العناد، وعمر العلوان، وعثمان العلوان، وطفيح الحسون، عبد المهدي القنبر وغيرهم^(٢).

* يثير التحول في العمل الاسلامي في تلك المرحلة التاريخية الى تبلور الرؤية الحركية الداعية داخل ساحة المقاومة الاسلامية للاحتلال البريطاني من

(١) عبد الجبار الجبوري، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٢) سلمان هادي الطعمة، كربلاء في الذاكرة، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣٨٧-٣٨٩.

خلال تنامي الادراك الوطني الى اهمية العمل الحركي الحزبي في تنمية الوحدة الوطنية والقومية، والتوجه نحو القائد المناسب للمرحلة الدقيقة التي تمر بها البلاد من خلال الاستفادة من التجارب والاختافات والانجازات التي مرت بها انتفاضة النجف عام ١٩١٧ - ١٩١٨ من دون اثاره الساحة العامة. كانت مهمة الشيرازي من خلال تزعمه العمل السياسي الاسلامي تتمحور حول توحيد الساحة الداخلية لغرض توجيه الحركة السياسية وموقف العمل الجهادي من خلال ربط المقومات الرئيسية لحركة الامة وهي العلماء المجتهدين، وكلاء المرجعية، رؤساء العشائر، والوطنين والمثقفين. كما كان للجمعية الوطنية الاسلامية صلات بحرس الاستقلال في بغداد كما ينكر ذلك المؤرخ عبد الرزاق الحسني^(١).

* توفي المرجع الديني محمد كاظم اليزدي في النجف الاشرف في ٣٠ نيسان ١٩١٩، واصبح بعده الشيخ محمد تقي الشيرازي المرجع الديني الاعلى الذي عرفه بمرجعته السياسية و اصداره الفتاوى السياسية وكان ابرزها فتاوى التبغ عام ١٨٩٦^(٢). توزع برنامج الجمعية علي ادوار عديده شملت الجوانب الاجتماعية والسياسية والوطنية والدينية وكانت بالشكل الاتي:
- نشر المفاهيم الدينية للمرجعية الدينية بشكل عام من خلال نشر فتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي « حول حرمة انتخاب غير المسلم»^(٣).

(١) محمد جواد مالك، شيعة العراق وبناء الوطن، دراسة تاريخية منذ الدستور حتى الاستقلال ١٩٠٨ - ١٩٣٢، كربلاء، ٢٠١٢، ص ٣٦٣.

(٢) عبد الرزاق الحسني، الثورة العراقية الكبرى، بغداد، ١٩٩٢، ص ٨٥.

(٣) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، بغداد ١٩٧٥، ص ١٩٣.

- توحيد الصف الوطني والتوجيه نحو الاستقلال من الاحتلال البريطاني من خلال بث الروح الوطنية وترسيخها بين الشعب العراقي وهو ما جاء في الشعارات الوطنية التي كانت توزع على هيئته منشورات التي اكدت على «حب الوطن من الايمان» و «للوطن ناحيا وللوطن نموت»^(١).

تسوية النزاعات والخلافات العشائرية في منطقه الفرات الاوسط.

- استقلال البلاد العراقية استقلالاً تاماً كما جاء ذلك في المادة الثانية من المنهاج وضرورة انضمام العراق الى الصف العربي الموحد (٣٩) عبر تشكيل دولة عربية وعد بها البريطانيون بموجب مراسلات حسين- مكماهون بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨)، هذا مع الضغط على الحكومة البريطانية بالإيفاء بوعودها عبر استغلال الظروف الدولية و مبدأ حق تقرير المصير الذي اعلنه الرئيس الامريكى ودرو ولسن عام ١٩١٩.

- كان للشيخ الشيرازي دوراً مهماً في ان تصبح مدينة كربلاء رمزاً وطنياً في نشاطها السياسي والحركي خاصة قبل اندلاع ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني عندما اصبحت كربلاء مقراً لادارة وتخطيط العمل السياسي في العراق عموماً بعد ان منحت الصفة الشرعية لنشاطها السياسي، فكانت قيادة الجمعية تبعث المعتمدين الى مدن ونواحي العراق المختلفة لتهيئة الاجواء المناسبة للأعداد للثورة، فقد بحث في هذا الصدد الشيخ علي الشرقي الى منطقة الشطرة لتأسيس فرع لإدارة شؤون الثورة. منح التوافق الواضح بين اهداف وافكار كلا الجمعيتين وهما الجمعية الإسلامية وجميعه حرس الاستقلال في تنظيم

(١) نقلا عن: د.عدي حاتم عبد الزهرة المغربي وآخرون، الجمعية الإسلامية في كربلاء ١٩١٨ ١٩٢٠ دراسة تاريخية، كربلاء، ٢٠١٥، ص ٣.

العديد من المواليد والنداءات للشعراء والوعاظ من كلا الطائفتين الذين اكدوا في قصائدهم على ضرورة الاتحاد تحت راية الاسلام ومن ابرز تلك القصائد هي التي جاء في مطلعها: -

لا تقل جعفرية حنفيه لا تقل شافعية زيدية
جمعنا الشريعة الاحمدية وهي تأبى الوصاية الغربية^(١)

وفق تلك المعطيات توفرت عناصر العمل الثوري في تلك المرحلة من قائد ديني و نخبة وطنية مثقفة وشيوخ عشائر، وتنسيق سياسي - اسلامي - وطني - حزبي، لذلك بدا بقرار الجمعية الإسلامية بالتعاون مع النخبة المثقفة عندما ارسلت السيد هادي زوين احد اعضاء الجمعية الى بغداد، والاتصال بالكوادر الوطنية في ٢٠ نيسان ١٩٢٠ كما اوفدت جمعيه حرس الاستقلال جعفر ابو التمن الى كربلاء في ايار لمعرفة الظروف الفاعلة للعمل الوطني وسبل التعاون مع قاده الحركة في الجمعية الإسلامية وشيوخ عشائر، وعلى اثر ذلك عقد اجتماع سري في ٣ ايار ١٩٢٠ في منزل السيد ابو القاسم الكاشاني حضره عدد من رجال الدين وشيوخ العشائر والوطنيين، تم الاتفاق فيه على ضرورة معرفة راي الشيخ محمد تقي الشيرازي المرجع الديني حول استخدام العمل المسلح لإخراج البريطانيين من العراق وتحقيق الاستقلال والحرية، وتم اختيار خمسة من بينهم لمقابلة المرجع الديني محمد تقي الشيرازي وهم الشيخ عبد الكريم الجزائري، جعفر ابو التمن، نور الياسري، علوان الياسري، عبد الواحد الحاج سكر، الذين اجتمعوا في ١٤ ايار ١٩٢٠ ويعد الاجتماع المذكور من اهم الاجتماعات التي سبقت اعلان ثوره

(١) محمد علي كمال الدين، ثوره العشرين في ذكراها الخمسين، مجله التضامن، النجف، ١٩٧١، ص ٦٣-٦٩.

العشرين^(١).

علمت الإدارة البريطانية العسكرية في بغداد برئاسة الحاكم المدني العام وكالة (١٩١٨-١٩٢٠) مدى قوه وتأثير الجمعية الإسلامية على الساحة العراقية السياسية والدينية واثرها على القرار السياسي البريطاني وسياسته على العراق في تلك المرحلة التي كانت تمهد لإعلان دولة عراقية تحت الانتداب البريطاني بموجب المعاهدات الدولية التي اعقبت الحرب العالمية الأولى لذلك توجه المسؤولين البريطانيين في بغداد نحو المرجع الديني محمد الشيرازي والجمعية الوطنية الإسلامية التي يتزعمها، عندما اعتقل ستة اعضاء بارزين من الجمعية في ٢ اب ١٩٢٠، وهم كلا من محمد علي الطبطبائي، محمد مهدي المولوي، محمد علي ابو الحب، طلفيح الحسون، عبد الكريم عواد، الحاج علوان وتم نفيهم الى الهند^(٢).

كان جواب المرجع الشيرازي انه وجه كتاب احتجاج الى الحاكم المدني في بغداد في ٥ اب ١٩١٩ طالبا منه اخلاء سبيل المعتقلين واثبات انهم " لم يفعلوا شيئا سوى المطالبة السياسية بحقوق البلاد المشروعة "، وتحت طائلة التهديد واعلان الجهاد ضد السلطات البريطانية، اضطرت السلطة البريطانية الى التنازل عن قرارها، وكان هذا اول انجاز سياسي تحققه الجمعية الإسلامية برئاسة المرجع محمد الشيرازي^(٣).

(١) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص ٨٥؛ نديم عيسى، الفكر السياسي لثوره العشرين، بغداد، ١٩٩٢، ص ١٢٢.

(٢) محمد مهدي البصير، القضية العراقية، لندن، ١٩٩٠، ص ص ١٢٧-١٢٨.

(٣) وميض جمال عمر نظمي، الجذور الاستقلالية لثوره العشرين، ص ٣٧٤.

الختامة

- يركز موضوع الدراسة على بواكير العمل السياسي للمرجعية الدينية في عهد الشيخ محمد تقي الشيرازي « قدس»، لتوضيح دور رجال الدين في مرحلة مهمة من مراحل تأسيس الدولة العراقية الحديثة (١٩١٨-١٩٢١) بكل ما حملت من معاني دقيقة وحساسة اثرت على طبيعة العلائق القومية والمذهبية داخل بنية الدولة، لتبدأ فيها بعد ازمة هوية حول شكل الدولة القائمة، وصراعا بين الدولة القومية والدينية.

- بعد سلسلة من الحركات المسلحة في معركة الشعبية والمزيرة في عام ١٩١٥، وحصار البريطانيين في الكوت في عام ١٩١٦، وانتفاضة النجف على الادارة البريطانية في عام ١٩١٨، تحولت المرجعية الدينية في عهد الشيخ محمد تقي الشيرازي الى قوة سياسية بارزة في الساحة العراقية، كان الحكام البريطانيون يحسبون لها الشي الكثير في موضوع صنع القرار السياسي للعراق في تلك المرحلة، وهو ما بدى واضحا في موضوع الاستفتاء العام عندما اصبح رجال الدين حجر عثرة امام تحقيق الاهداف البريطانية المرجوة لحكم العراق حكما بريطانيا مباشرا.

- شكلت العشائر والاتحادات القبلية قوة مهمة في المجتمع العراقي قديما وحديثا في تاريخ العراق الحديث والمعاصر حيث تشكل العشائر أغلبية سكان البلاد، كانت العشائر موطن قوة تارة للسلطات العثمانية في العراق عندما تتعاون معها ضد أي خطر خارجي وموطن ضعف تارة اخرى بسبب تعدد ثوراتها وقد ملئت أحداث هذه العشائر أسماع العالم باحداثها في القرن التاسع عشر.

- ان المتمعن لخارطة العراق العشائرية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

سيلاحظ وجود العديد من الاتحادات القبلية القوية وعدد من العشائر التي تخضع لسيطرتها الفعلية في جنوب ووسط البلاد والتي لعبت دورا مهما في احداث هذه المرحلة.

- كانت العشائر هيكلًا اجتماعيًا معقدًا جدًا ومليئًا بالتناقضات الجسيمة ومن نواحي عديدة، يمكن التمييز بين الذين كانوا يعتمدون على الري الذين كانوا يعتمدون على مياه الأمطار، وبين زراع الحبوب أو التمور أو الأرز، وبين الفلاحين القريين من النجف و كربلاء والبعيدین عنهما ومن وجهة النظر الاجتماعية، يمكن أيضا التمييز بين المناطق التي كانت العلاقات الاجتماعية فيها تتمثل في التناقض بين الفلاحين وحائزي الأراضي، والمناطق التي كانت العلاقات فيها تتمثل في التناقض بين الفلاحين من افراد العشائر والشيوخ.

المصادر والمراجع

١. حسن الاسدي، ثورة النجف على الانكليز، النجف ١٩٧٩، .
٢. حمود الساعدي، دراسات عن عشائر العراق، النجف الاشرف، ١٩٧٤ .
٣. حميد حمد السعدون، امارة المنتفك واثرها في تاريخ العراق والمنطقة الاقليمية ١٥٤٦-١٩١٨، عمان، ١٩٩٩ .
٤. حنا بطاطو، الطبقات الاجتماعية في العراق، الجزء الاول، بغداد، ١٩٨٠ .
٥. ستيفن همسلي لونكر، تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد، ١٩٧٠ .
٦. سلمان هادي الطعمة، كربلاء في الذاكرة، بغداد، ١٩٨٨ .
٧. د. سيار الجميل، زعماء وافندية: الباشوات العثمانيون والنهضويون العرب البنية التاريخية للعراق الحديث (الموصل نموذجا)، عمان، ١٩٩٩ .

٨. شكري محمود نديم، العراق في عهد السيطرة العثمانية ١٩٠٨ - ١٩١٨، عمان، ٢٠٠٨.
٩. حرب العراق - الحرب العالمية الاولى، بغداد، ١٩٧٢.
١٠. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، شركة التجارة والطباعة المحدودة، التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٦.
١١. عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، بغداد ١٩٧٥.
١٢. عبد الجبار الجبوري، الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ١٩٠٨ - ١٩٦٨، بغداد، ١٩٧٧.
١٣. عبد الرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، بغداد، ١٩٩٢.
١٤. عبدالستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١ - ١٩٤١، بغداد، ٢٠١٠.
١٥. عدي حاتم عبد الزهرة المغربي واخرون، الجمعية الإسلامية في كربلاء ١٩١٨ - ١٩٢٠ دراسة تاريخية، كربلاء، ٢٠١٥.
١٦. علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد ١٩٧٩.
١٧. غسان العطية، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨ - ١٩٢١، دار اللام، لندن، ١٩٩٠.
١٨. فيصل محمد الرحيم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨ - ١٩١٤، موصل، ١٩٧٥.
١٩. كوتلوف، ل.ن، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، ترجمة عبد الواحد كرم، بغداد، ١٩٨٥.
٢٠. محمد جبار، تأثير التحولات الاقتصادية في نمو المجتمع العراقي الحديث، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، العدد ٢١، السنة الثامنة، ٢٠٠٩.

٢١. محمد جواد مالك، شيعة العراق وبناء الوطن، دراسة تاريخية منذ الدستور حتى الاستقلال ١٩٠٨ - ١٩٣٢، كربلاء، ٢٠١٢.
٢٢. محمد علي كمال الدين، ثوره العشرين في ذكراها الخمسين، مجله التضامن، النجف، ١٩٧١.
٢٣. محمد مهدي البصير، القضية العراقية، لندن، ١٩٩٠.
٢٤. نديم عيسى، الفكر السياسي لثوره العشرين، بغداد، ١٩٩٢.
٢٥. وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والاجتماعية والاقتصادية لثورة العشرين، بيروت، ١٩٨٢.
٢٦. ياسين سعد محمد البكري، القبيلة في العراق، ديناميتها ودورها السياسي (مقدمة لمشروع دراسة القبيلة في العراق) مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٦٣، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ايار ٢٠٠٩.